امري ضئيل · كانت الفكرة ان ابقى فيها يوما او يومين ، استطلع خلالهما الاوضاع ، واضع ، بالتشاور مع اقربائي هناك ، خطة لتحركي · طلبت من صحبي ، قبل افتراقنا ، نقل خبر عودتي الى اخي الاكبر ، الذي كان قد عاد الى القرية · وارتفعت الشمس، واطلت علي فسوطة فوق تلها · يممت وجهي شطرها، وسرت في الحقول المفتوحة صوبها · تحاشيت السير على الطريق الزراعي ، تحسبا للمفاجآت · لم يكن معي ما يثير الشبهة · فانا بمفردي ، وليس علي ما يسترعي الانتباه · وصلت الى بيت اقربائي ، وراح رب البيت يمطرني باسئلة عن والدي وامي وتفاصيل « تغريبتنا » · اما زوجته ، فقد بدا عليها الارتباك · كانت سلطات الاحتلال قد اصدرت قانونا يقضي بطرد من يؤوي نازحا من البلد، او على الاقل ، بدفع غرامة مالية كبيرة · واحتارت العائلة في امرها · هناك الشرف والكرامة واواصر القربى والصداقة الخ ، وهناك السلطة والاحتلال والقمع والبطش · وحسمت انا الامر · تناولت طعام الغداء معهم ، واستودعتهم منطلقا الى وادي القرن · والوادي فسيح ، وانا اعرف أرجاءه · لنا فيه ارض وبساتين وطواحين ، طلبت منهم ابلاغ اخي ان يلقاني في احدى الطواحين · وصلتها عند الغروب ، وبت ليلتي فيها ، مع عمالها ·

في الغد ، جاءني اخي · تداولنا في الامر · واستقر رأينا على ان ابقى انا في الطاحون · ويعود هو لمراجعة المطران · استنفرنا عمال الطاحون للحراسة رصدنا جميع الطرق المؤدية اليها · اتفقنا على كلمة سر · لكننا لم نضطر الى استعمالها · كانت اشارة لانذارنا بالخطر · تحسبنا ان تداهمنا الشرطة · في الليل ، لم تكن هناك مشكلة · الشرطة الاسرائيلية لا تدخل الوادي الموحش ليلا ومع ذلك ، واحتياطا ، اتخذت من مغارة مبيتا لي · اما في النهار ، فظلت المراقبة مستمرة ، من نقطة رصد مشرفة ، في السفح المقابل من الجبل · لقد جهد المطران لدى السلطات في استصدار اذن لي بالبقاء في البلد · ونجح اخيرا · فحمل الي اخي قصاصة ورق ، عليها بعض كلمات بالعبرية · لم افهم فحواها · ولكنني حملتها وذهبت ، متوجسا شرا ، الى مأمور التسجيل ·فاصدر لي هذا وثيقة اقامة مؤقتة · كانت بطاقة حمراء اللون ، ذاع صيتها ، وعرفت ب « الهوية الحمراء » · اما بطاقة الهوية العادية ، شهادة المواطنية الحقة ، فكانت زرقاء ، كلون « درع داوود » · وبدأت اقامتي المؤقتة في فلسطين المحتلة· وطالت اربع عشرة سنة · الى حين سفري لاستكمال تحصيلي الجامعي في الولايات المتحدة · وخلال اسابيع قليلة ، وصلت امي بالطريقة نفسها ، وكذلك اخي الثاني ، الذي لم يطق البقاء في بيروت · وحصل على « هوية حمراء » · واعتقد انهما لا يزالان الى اليوم (١٩٧٨) ، مقيمين مؤقتا ، في الارض المحتلة ·